



كشفت الثورة العربية عموماً، والسورية منها على وجه الخصوص، أبعاد الأزمة التاريخية التي تعيشها الأمة، والواقع السياسي الخطير لدوليات الحملات الصليبية في المنطقة العربية، التي أقامها – ورسم حدودها وحوى أنظمتها الممسوحة – الاحتلال البريطاني والفرنسي والإيطالي على أنقاض الخلافة.

حيث تتعرض الأمة منذ سقوط الخلافة مطلع القرن الماضي للاستيلاب السياسي والمادي والروحي والحضاري، فإذا هي – بعد قرن من الاستعمار الغربي والمقاومة وحروب التحرير – أحجار على رقع الشطرين، وأصفار على اليسار في المشهد السياسي الدولي، حتى لم يعد للعالم الإسلامي بكل دواليه وشعوبه قدرة على إيقاف المذابح المروعة التي يتعرض لها الشعب السوري على يد العصابات الباطنية الإجرامية، وإذا حوادث التاريخ التي يقصها المؤرخون ولا يصدقها المعاصرون، تراها مشاهدة العيون، وتتناقلها وسائل الإعلام بالصوت والصورة، ويشاهدها العالم المذهول من هول ما يجري!

لقد عجز مليار ونصف مسلم، ثلاثة مليون عربي، عن مد يد الغوث للشعب السوري، كما عجز قبل ذلك عن إنقاذ الشعب العراقي من حرب استعمارية كبرى ذهب ضحيتها ملايين الأبرياء، وكانت الدول العربية الوظيفية نفسها هي القواعد التي اطلقت منها جيوش الاحتلال الهجمي، من مصر والخليج والجزيرة العربية والشام الخ! فإذا قصة الحملات الصليبية يعاد روایتها من جديد لا في قاعات المسارح، بل على أرض الواقع المشاهد والبث الإعلامي الحي، وإذا العدو يجوس خلال الديار بين دوليات العرب الوظيفية والطائفية لا في الأندلس، بل في الشام والعراق وجزيرة العرب، فلا يجد من يحول بينه وبين بغيته، بل يجد من جماعات أبي رغال وشيعته في كل بلد من يمهد له الطريق، ويتطوع في جيشه، ويفتح له أرضه، على حساب الأمة ودماء شعوبها المسفوكة، وثرواتها المنهوبة، ومقدساتها المسلوبة!

لقد كشفت الثورة السورية حالة الضعف العربي، وكيف يتداعى العالم على الأمة كما تتداعى الأكلة على قصعتها، وإذا العرب بكل دولهم وثرواتهم لا يستطيعون دفعا ولا رفعا، بل ينتظرون قرارا روسيا أو صينيا أو أوربيا أو أمريكا أو إيرانيا، ينقذ الشعب السوري! هذا الدول العربية تمثل أكثر من عشرين دولة، تمتد من الخليج إلى المحيط، على مساحة 14 مليون

كلم، والأمة من ورائهم تعدادها مiliar ونصف المiliar، وهو ما يفوق جغرافياً وديمغرافياً تلك الأمم كلها!

لقد جاءت الثورة العربية للإعلان عن نهاية عهد الظلم والاستبداد، فإذا العدو الغربي ودوله الوظيفية، والعدو الشرقي ودوله الطائفية، يقف للشعوب العربية بالمرصاد، ليحول بينها وبين حريتها ووحدتها، وليعمل جاهداً على أن تظل الأمة حتى في ظل الثورة تعيش في كف مشروعه منذ سايكس بيكر، في دول عربية وظيفية، مهما اختلفت أنظمة الحكم فيها!

فالنظام الدولي الاستعماري لا يهمه أن يذهب العلمانيون والقوميون العرب ويأتي الإسلاميون الجدد، ما دامت الدول العربية الوظيفية نفسها قائمة بدورها المرسوم لها منذ سقوط الخلافة وإلى اليوم،وها هي الثورة اليمنية يراد لها من خلال تدخل الدول العربية الوظيفية والجماعات الإسلامية الوظيفية، تحالف مع العدو، وتعقد الصفقات المشبوهة مع سفراء أمريكا، على حساب الأمة وحريتها وسيادتها، ليظل الطيران الأمريكي يقصف الشعب اليمني في مدن اليمن وفي ظل الثورة!

وهو ما يكاد أيضاً للثورة المصرية، ليظل النظام الحاكم منذ كامب ديفيد نظاماً وظيفياً وإن كان إسلامياً على نمط حكومة السودان التي قدمت للغرب من الخدمات الوظيفية ما لم يقدمه العلمانيون العرب!

لقد أصبحت الأمة اليوم - في ظل غياب (مشروع الأمة) - ضحية مشروعين عدوين يتشارعان عليها تارة، ويتفاهمان تارة، المشروع الغربي الصليبي الاستعماري وتصطف خلفه الدول العربية الوظيفية التي صنعتها الغرب على عينه منذ سايكس بيكر وإلى اليوم، والم مشروع الشرقي الروسي (الأرثوذكسي ثم الشيوعي) وحليفه الصوفي الذي جعل من إيران منذ أربعة قرون وإلى اليوم خنبراً في خاصرة العالم الإسلامي، حيث كان لتحالف روسيا القيصرية مع إيران الصفوية أكبر الأثر في وقف فتوحات الخلافة العثمانية في أوروبا، وفتح الطريق أمام العدو لاحتلال العالم الإسلامي، بعد سبعة قرون من استعادة الأمة لوحدتها، ونهضتها من كبوتها، بعد الغزو المغولي الهمجي، كما عبر عن ذلك المفكر الإيراني علي شريعتي، في كتابه (التشيع الصوفي ص 263) حيث يقول (إن التشيع الصوفي ظهر وتحالف مع القوى الصليبية والبرجوازية العدوانية في أوروبا لضرب القوة الإسلامية الوحيدة التي كانت تتصدى لهم ولو باسم الإمبراطورية العثمانية، وقد كانت الضربة التي وجهها التشيع الصوفي بمثابة طعنة في الظهر، تجلت على شكل لقاءات مشتركة بين السلاطين الصفوين وسلاطين أوروبا الشرقية تمخضت عن اتفاقيات ومحططات للقضاء على العدو المشترك للمسيحية الغربية والتشيع الصوفي والمتمثل آنذاك بالدولة العثمانية)!

لقد ظلت النفسية الطائفية تعاني أزمة تاريخية منذ تحالفها مع الغزو الوثني المغولي للمشرق الإسلامي، حيث استنفرت الأمة كلها لمواجهته حتى تحطم على أطراف الشام على يد السلطان قطز في عين جالوت، بينما تحالف الباطنيون الطائفيون مع هولاكو حين احتل بغداد!

ثم تجلت تلك النفسية الحاقدة على الأمة وحضارتها وتاريخها في الدولة الصوفية التي جعلت من تلك الأحقاد والضغائن الشعوبية فلسفة دينية ومشروعًا سياسياً، عزز الفصل بين الشعب الإيراني العظيم وأمته، كما عبر عن ذلك علي شريعتي في كتابه (التشيع الصوفي ص 141) حيث يقول عن طبيعة الدولة الصوفية وحقيقة دعوتها في إيران (كان الهدف هو إضفاء طابع مذهبي على الحالة القومية، وبعث القومية الإيرانية تحت ستار التشيع، وتمت عملية فصل الشعب الإيراني عن جسد الأمة الكبير... ومن هنا نجد أن الشيعي الصوفي قد يبقى متمسكاً بالإسلام إلا أنه في الوقت ذاته يزاول أعمالاً من شأنها أن تقطع جميع أواصر الأخوة مع باقي المسلمين.. وهكذا أوجد التشيع الصوفي مع القومية الإيرانية حركة جديدة ونجم عنها (تشيع شعوي) و(شعوبية شيعية)!

وقد عانى المسلمين عامة والعرب خاصة منذ قيام الدولة الصفوية في إيران سنة 907هـ حرباً دموية، وكانت بغداد وال العراق أول ضحاياه في القرن الحادى عشر الهجرى، ثم القرن الثانى عشر، ثم التفاهم مع الاحتلال البرتغالى للخليج العربى، ثم التفاهم مع الاحتلال البريطانى، ثم كان الشاه شرطى الغرب الاستعمارى مدة نصف قرن فى الخليج العربى، ثم ها هي إيران بحسها الطائفى تتفاهم مع الاحتلال الأمريكى فى أفغانستان وال العراق، وتقف خلف جرائم النظام الإجرامى الع资料وى فى سوريا، وإذا إيران الصحفية هي إيران الصحفية، مهما اختلفت أنظمة الحكم فيها ملكية أو جمهورية، علمانية أو دينية!

وها هو المشهد اليوم يتكرر فإذا الأمة كلها من خلال دولها الوظيفية والطائفية تصطف إما خلف المشروع الغربى الصليبى، أو المشروع الشرقي الروسي والصفوى، ويصطف خلف كل معسكر أبوافقه من رجال الدين والسياسيين والمفكرين! دون أن يكون للأمة مشروعها السياسى، وهو ما يجعل من استعادة مشروع (الأمة الواحدة والخلافة الراشدة)، طوق النجاة، والطريق الوحيد للخروج من هذا التيه، كما بشر به النبي صلى الله عليه وسلم (ثم تعود خلافة على منهاج النبوة)!

المصدر : موقع الشيخ الدكتور حاكم المطيري

المصادر: